ROWAQ رواق
MAYSALOON ميسلون

Intellectual and Political Studies
دراسات فكرية سياسية

مجلة فصليّة تصدر عن مؤسسة ميسلون للثقافة والترجمة والنشر

الربيع العربي بعد عشر سنوات
المسارات والحصائل والآفاق
(الجزء الأول)

العدد الثاني - أيار / مايو 2021

في هذا العدد

حوارات مع:
بهي الدين حسن، عبد الحسين شعبان، إشراق المقطري

أوراق جلسات (رواق ميسلون) الحوارية حول الربيع العربي

ملف خاص؛ تجارب نسوية خلال الربيع العربي

أوراق جلسات (رواق ميسلون) الحوارية

الربيع العربي بعد عشر سنوات؛ المسارات والحصائل والآفاق

Inana Barakat, Mixed media Acrylic on canvas, 33x24 cm, 2016

أوراق جلسات (رواق ميسلون) الحوارية حول ملف الربيع العربي

(الربيع العربي بعد عشر سنوات: المسارات والحصائل والآفاق)

عقدت هيئة تحرير مجلة (رواق ميسلون) عددًا من الجلسات الحوارية خلال المدة بين 5 و15 نيسان/ أبريل 2021، انطلاقًا من ورقة خلفية أعدتها هيئة التحرير بعنوان «الربيع العربي بعد عشر سنوات؛ المسارات والحصائل والآفاق». وشارك في هذه الجلسات عدد من المثقفين والباحثين والسياسيين في المنطقة العربية، قدّموا خلالها أوراقًا بحثية نوقشت أغلبيتها خلال الجلسات، وأُرسل بعضها الآخر إلى المجلة من خارج الجلسات لنشرها ضمن أوراق ملف الربيع العربي.

تنشر هيئة التحرير في هذا العدد من المجلة بعض هذه الأوراق، وستنشر بعضها الآخر في العدد الثالث من المجلة الذي يحمل عنوان الملف نفسه.

برنامج الجلسات الحوارية خلال المدة من 5 إلى 10 نيسان/ أبريل 2021، حول ملف: الربيع العربي بعد عشر سنوات: المسارات والحصائل والآفاق

الرقم	المتحدِّث الرئيس	الدولة	تاريخ الجلسة	التوقيت (غرينتش)	موضوع الجلسة	مدير الجلسة
1	ناصر الدين باقي	الجزائر	5 نيسان/ أبريل	5	مفرزات حراك الجزائر: صراع الدولة العميقة وبقايا النخب الوطنية	يوسف فخر الدين
2	عبد الحسين شعبان	العراق	5 نيسان/ أبريل	7	إعادة قراءة فكرية للربيع العربي بعد 10 سنوات على اندلاعه	حازم نهار
3	عمر التاور	المغرب	6 نيسان/ أبريل	5	الثقافة السائدة ودورها في مآلات الربيع العربي	نور حريري
4	أحمد الحاقي	المغرب	6 نيسان/ أبريل	7	الربيع العربي: ثورة اجتماعية في عقدها الأول	راتب شعبو
5	سمير ساسي	تونس	7 نيسان/ أبريل	5	الربيع العربي والفشل: أسئلة المصطلح	مازن الرفاعي
6	أنور جمعاوي	تونس	7 نيسان/ أبريل	7	الموجة الثانية من الربيع العربي: علامات فارقة	عبد المجيد عقيل
7	منصور أبو كريم	فلسطين	8 نيسان/ أبريل	5	الطائفية والتطرف ما بعد الربيع العربي: الأسباب والمسارات والمآلات	راتب شعبو
8	جلبير الأشقر	لبنان	8 نيسان/ أبريل	7	العقد الأول من السيرورة الثورية العربية	نور حريري
9	جمال نصار	مصر	10 نيسان/ أبريل	5	عشر سنوات على ثورة يناير المصرية: المآلات والأسئلة الحرجة	خليل الحسين

10	مهند عبد الحميد	فلسطين	11 نيسان/ أبريل	5	الاستجابة الفلسطينية السلبية في الربيع العربي	يوسف فخر الدين
11	ريم تركماني	سورية	11 نيسان/ أبريل	7	الربيع العربي والدستور	عبد المجيد عقيل
12	محمد العمار	سورية	12 نيسان/ أبريل	5	الربيع العربي؛ آمال وتحديات	مازن الرفاعي
13	بسمة قضماني	سورية	12 نيسان/ أبريل	7	دور المؤسسات العسكرية والأمنية في دول الثورات العربية بين النهج السلمي والنزاع المسلح	ألان خضركي
14	إشراق المقطري	اليمن	13 نيسان/ أبريل	5	نجاحات وإخفاقات الربيع اليمني	نور حريري
15	أبو بكر عبد الرازق	السودان	14 نيسان/ أبريل	5	دور المرأة في الربيع العربي وامتداداته؛ دور المرأة السودانية في ثورة كانون الأول/ ديسمبر 2018	هنادي زحلوط
16	ساطع نور الدين	لبنان	14 نيسان/ أبريل	7	الربيع العربي؛ إضاءة على التجربتين اللبنانية والسورية	يوسف فخر الدين
17	عبد الباسط سيدا	سورية	15 نيسان/ أبريل	5	القراءات الخاطئة والإخفاق في طمأنة السوريين	ولاء عواد
18	حازم نهار	سورية	15 نيسان/ أبريل	7	الثورات في ميزان المراحل الانتقالية عبر التاريخ	فؤاد القطريب

التنظيم والإدارة التقنية للجلسات الحوارية: آلان خضركي، شادي الشحادة

آلان خضركي

ناشط سوري في الحيزين المدني والثقافي، من مواليد 1979، ويقيم في فرنسا. يحمل شهادة جامعية في التجارة والاقتصاد - اختصاص بنوك ومصارف، ولديه خبرة إدارية ومصرفية مدة 15 عامًا.

شادي الشحادة

ناشط سياسي ومدني سوري، إجازة في القانون من جامعة دمشق، دبلوم في حوار الحضارات، دبلوم في الأدب الفرنسي. يعمل كمسؤول ربط وشراكات في منظمة غير ربحية في جنيف، مؤسِّس منظمة «زيتون» التي تعمل على التوعية المجتمعية لمجتمع اللاجئين في القاهرة، عضو في مجلس إدارة منظمة «سلمى» لدعم اللاجئين في سويسرا.

المشاركون في الجلسات والأوراق الحوارية

ناصر الدين باقي

عبد الحسين شعبان

عمر التاور

أحمد الحاقي

سمير ساسي

أنور جمعاوي

منصور أبو كريم

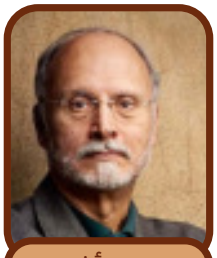
جلبير الأشقر

جمال نصار

أبو بكر عبدالرازق

مهند عبدالحميد

ريم تركماني

محمد العمار

بسمة قضماني

إشراق المقطري

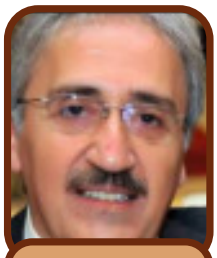
ساطع نور الدين

عبدالباسط سيدا

حازم نهار

ليث الشبيلات

نوال الراضي

الطائفية والتطرف بعد الربيع العربي.. الأسباب والمسارات والمآلات

منصور أحمد أبو كريم

تاريخ وصول المادة: 8 نيسان/ أبريل 2021

منصور أحمد أبو كريم

كاتب ومحلِّل سياسي فلسطيني، له العديد من الكتب والدراسات والمقالات، باحث في دائرة الأمن القومي بمركز التخطيط الفلسطيني التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية ومدير دائرة البحث العلمي والدراسات في مركز رؤية للدراسات والأبحاث، تحصّل على درجة اللسانس في علم الاجتماع، ودرجة الماجستير في العلوم السياسية من جامعة الأزهر بغزة عن دراسته التي حملت عنوان «تطور مفهوم المقاومة في الفكر السياسي الوطني الفلسطيني (حركة فتح نموذجًا)»، وصدرت عن دار الجندي للنشر والتوزيع، صدر له أيضًا كتاب بعنوان «مستقبل النظام الدولي في عهد الرئيس الأمريكي ترامب» عن دار الكلمة للنشر والتوزيع في غزة. صاحب مدونة كأسك يا وطن.

الكلمات المفتاحية: الربيع العربي . الطائفية . التطرف . الهوية . الفوضى الخلاقة

مقدمة

فرضت الطائفية والتطرف نفسيهما على المشهد العربي بعد الربيع العربي، فأصبح مشهد الأحداث في كثير من الدول التي حدث فيها تحولات سياسية عميقة نتجت عن انهيار أنظمة الحكم بسبب الحراك الشعبي العربي (الربيع العربي). فهذه الأحداث في معظمها خلقت صراعًا طائفيًا وعرقيًا دينيًا وهويّاتيًا مصحوبًا بنزعة عالية من التطرف الفكري والديني والعقائدي تجاه الآخر في كثير من دول المشرق العربي، نتيجة ضعف البناء المجتمعي، وغياب المواطنة، وانتشار مظاهر الفساد والمحسوبية.

لقد مثلت الطائفية والتطرف وجهتين لعملة واحدة؛ تمثلت **الوجهة الأولى** في غياب مؤسسات الدولة الأمنية والاجتماعية والاقتصادية بعد أن تحصن المواطن العربي في الهوية الفرعية لتوفير الحماية الأمنية والمظلة السياسية والاجتماعية. بينما تمثلت **الوجهة الثانية** في حالة الصراع الطائفي

والصدام المباشر بين القوى السياسية والدينية والاجتماعية، التي نتج عنها بروز الطائفية والتطرف في الحياة السياسية والاجتماعية في كثير من المجتمعات العربية.

ويطرح هذا التطور في الانقسام الطائفي الذي حصل في المجتمع العربي بعد انطلاقة موجات الربيع تساؤلات جوهرية عن مرجعية هذا الانقسام وجذوره، والأسباب التي مكّنته من اختراق الكيان الاجتماعي، على الرغم من وجود ميراث طويل ومهم من التعايش والقبول، فهل بات من المقدَّر للحالة الطائفية أن تكون نمطًا اجتماعيًّا مسيطرًا في المستقبل؟

أدت مأسسة الهويات الطائفية إلى نشوب صراعات حول مكانة وحدود وقوة كل طائفة، وقد كان لهذه الصراعات أثر مزعزع للاستقرار، خاصة عندما كانت تضفي مشروعية على أعمال الجماعات التي تمارس العنف وتدعي تمثيل طوائفها.

في هذه المقالة سوف نحاول تسليط الضوء على الأسباب التي دفعت الطائفية والتطرف لتصدر المشهد في المجتمعات العربية، والمسارات التي سلكتها الطائفية والتطرف، ومآلات الظاهرة في ضوء الواقع العربي والإقليمي والدولي.

أولًا: الطائفية والتطرف.. من الخفاء إلى العلن

صاحب انطلاقة الربيع العربي بروز الطائفية والتطرف وتصدرهما المشهد العربي، بعد تراجع دول ا(لدولة الوطنية) وتفكك أركانها ولجوء المواطن العربي إلى الهوية الفرعية المتمثلة في الطائفة والجماعة الدينية لحمايته وتوفير متطلبات الحياة له ولأسرته في ظل اختفاء دور الدولة ومؤسساتها في توفير المتطلبات الأساسية للمواطن بعد أن ضربت الموجة الأولى من الحراك الشعبي مفاصل الدولة الوطنية، وأُسقطت معظمها نتيجة غياب المؤسسات، وتركز السلطة والثروة في يد فئة قليلة من الطبعة السياسية.

الطائفيّة ببساطة تعني في معانيها اللغويّة والاصطلاحيّة تعصّب، أو تجمّع طائفة مُعينَة من الناس على أمر ما. ونحن حينما نذكر مصطلح الطائفيّة يتبادر إلى الذهن مباشرة الطائفيّة الدينيّة، أو المذهبيّة، لأنّها هي السائدة والظاهرة في حياتنا.

الطائفيّة الدينيّة: ويقصد بها التعصّب والولاء لدين واحد دون غيره، وهذه العصبيّة تكون بين أبناء الديانات المختلفة، وليس بين أبناء الدين الواحد، وفيها نلحظ كلّ جماعة تتمسك بدينها وتحاول ضرب الآخر. أما **الطائفيّة المذهبيّة**: فيقصد بها التَزَمُّت والنصرة لمذهب واحد دون غيره، وتكون بين أبناء الدين الواحد، لا بين أبناء الديانات المختلفة[1].الطائفية تعني وجود نظام سياسي اجتماعي يرتكز على معاملة الفرد على أنه جزء من فئة دينية تنوب عنه في مواقفه السياسية، بناء على ذلك تتحكم الطائفة في حياة الفرد السياسية والاجتماعية، وتحكمه وفق قوانينها وشرائعها الدينية، التي يقوم بها رجال الدين بوصفهم الحاكم والوسيط[2].

(1) الشمري، جاسم: أنواع الطائفيّة، موقع عرب 21، 8 أبريل 2019، متاح http://bit.ly/38y3xzG

(2) موسى، إسلام، عبد الحميد: **الجماعات الجهادية في سورية والقضية الفلسطينية، أطروحة دكتوراه**، (جامعة قرطاج، تونس 2019)، ص 25.

ينظر كثيرون إلى الاضطرابات في الشرق الأوسط في سياق الطائفية الدينية، مع التركيز على الانقسام السني الشيعي. لكن عزمي بشارة في تناوله عن أسباب نشوء الطائفية السياسية في السياق العربي، يؤكد أن الطائفية ليست من إنتاج الطائفة بل العكس. فالطائفية هي التي تستدعي الطائفة من وعي الناس، وتعيد إنتاجها كيانًا متخيلًا في شروط تاريخية وسياسية حديثة، مؤكدًا أن فشل الدولة الوطنية وعجزها عن دمج الجماعات على أساس المواطنة، في محيط إقليمي يتسم بالصراع، أديا إلى استثمار الهوية الطائفية في الصراع على الدولة، ليتطور لاحقًا إلى صراع على تاريخ البلاد ومشكلة «نحن» مقابل «هم».[3]

ويمثل بروز الطائفية والتطرف في المشهد العربي أحد نتائج المشروع الأميركي في المنطقة، هذا المشروع الذي حاول تغير الوضع القائم من تعزيز النعرات الطائفية والمذهبية بهدف تغير الواقع وإنتاج واقع جديد يخدم المصالح الأميركية والإسرائيلية في المنطقة من خلال ما عرف بنظرية الفوضى الخلاقة.

وجاء المشروع على أنه خليط أو مزيج من التجارب الأميركية السابقة لزعزعة الأمن والاستقرار في العالم إبان الحرب الباردة على شكل حروب أهلية أو داخلية كان للأمريكيين دور فيها بشكل أو بآخر، فأخضعوها للتحليل والتركيب والدمج، مستخلصين من كل واحدة درسًا مفيدًا وتجربة ناجحة تصلح للتصدير لدول ومناطق أخرى[4]. وتهدف نظرية (الفوضى الخلاقة) إلى إجراء حملة طويلة من الهندسة الاجتماعية تفُرض بالقوة، بحسب (مايكل ليدن) العضو البارز في التيار المحافظ، حيث قال «حان الوقت لكي تصدر الثورة الاجتماعية من أجل إعادة صياغة المنطقة العربية عبر تغير لا يشمل الأنظمة فقط! بل يشمل الجغرافيا السياسية؛ انطلاقًا من رؤية خاصة تهدف إلى بناء مختلف». وكانت تستند هذه الرؤية إلى أفكار المستشرق الغربي برنارد لويس، الذي كان يرى في المنطقة عبارة عن تجمعات لأقليات عرقية ودنية غير قادرة على العيش سوية في كيانات وطنية[5].

وحاولت (كونداليزا رايس) وهي وزيرة الخارجية الأميركية (2004-2008) رسم سياسة خارجية جديدة قائمة على مجموعة من المبادئ الأساسية، منها بناء قوة عسكرية مؤهلة لضمان استمرارية وتوطيد التفوق والهيمنة الأميركية. ووظفت الولايات المتحدة الأميركية قوتها العسكرية للدفاع علن مصالحها الحيوية وتحقيق أهداف سياستها الخارجية، حيث جمعت بين التهديد باستخدام القوة العسكرية واستخدامها فعلًا[6]. وتقوم نظرية الفوضى الخلاقة على عدة دعائم وركائز أساسية، هي على النحو التالي[7]:

---

(3) بشارة، عزمي: **الطائفة، الطائفية، الطوائف المتخيلة**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة 2018.

(4) المناوي، رمزي، **الفوضى الخلاقة والسيناريو الأمريكي لتفتيت الشرق الأوسط، والنظرية الصهيونية لشرذمته**، (دار الكتاب العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، 2102)، ص 72.

(5) المناوي، رمزي، **الفوضى الخلاقة والسيناريو الأمريكي لتفتيت الشرق الأوسط، والنظرية الصهيونية لشرذمته**، مرجع سابق، ص21.

(6) العساف، سوسن: **استراتيجية الردع والعقدية العسكرية الأمريكية الجديدة والاستقرار الدولي** (المجلد الأولى). (الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت لبنان، 2008)، ص 235.

(7) المناوي، رمزي، **الفوضى الخلاقة والسيناريو الأمريكي لتفتيت الشرق الأوسط**، مرجع سابق، ص27-28.

إطلاق الصراع العرقي: فهي تقوم على بث الشرخ العرقي الحاد في الدول التوافقية، القائمة على فكرة التوازن بسبب تركيبتها العرقية. (والنموذج العراقي خير دليل على ذلك، لأن العراق مكون من مكونات عرقية بين العرب والأكراد، والشيعة والسنة).

إطلاق صراع العصبيات: بهدف ضرب استقرار الدولة بجميع مؤسساتها وأجهزتها، واستبدالها بولاءات حزبية أو عشائرية قائمة على انتماءات قبلية. (والأمثلة على ذلك كثيرة منها النموذج الليبي، والسوري، واليمني).

ضرب الاستقرار الأمني: عبر إطالة أمد الاحتلال العسكري، لإعطاء انطباع بعدم استحالة عودة الأوضاع السابقة.

زعزعة الاستقرار الاقتصادي: بهدف ضرب الاستقرار الاجتماعي وخلق تنافس على الموارد.

التعبئة الإعلامية: لأن التعبئة الإعلامية العرقية والطائفية خاصة كفيلة بتغذية حالة الصراع الطائفي والعرقي في المنطقة.

وارتكزت نظرية الفوضى الخلاقة على خطاب الإصلاح السياسي الجديد تجاه المنطقة العربية، ومثلت قضية نشر الديمقراطية نقطة جوهرية، حيث أصبح على الولايات المتحدة الأميركية وانطلاقًا من قناعة مفادها أن غياب الديمقراطية والأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية السائدة في منطقة الشرق الأوسط هي السبب الرئيس في انتشار الإرهاب والتطرف، حيث ظهر ذلك في خطابات بوش المتعددة بعد أحداث 11 سبتمبر، حيث بربط بين غياب الأنظمة الديمقراطية وتنامي ظاهرة الفقر ، وأكد على أن غياب الحرية والتمثيل الديمقراطي يمثل تحديًا بالنسبة للولايات المتحد الأميركية، ورأى أن الانتخابات وحدها لا تصنع الديمقراطية بل المهم تطور المجتمع المدني، والإصلاح السياسي والثقافي والإعلامي[8].

الغزو الأميركي للعراق والمنطقة عبر القوة العسكرية أدى إلى شيوع الطائفية والعرقية وتفوق قانون القبيلة على الدولة، كما ساهم غياب المواطنة والاستبداد السياسي والاقتصادي والاجتماعي وسوء توزيع الثروة والنظرة الدونية إلى أصحاب الأقليات الدينية والعرقية لبروز الطائفية في المجتمعات العربية، فغياب التعايش السلمي وغياب منظومة الحقوق عبر إيجاد عدالة اجتماعية حقيقية ساهم في بروز الطائفية بعد أن تحصن المواطن العربي في هويته الدينية والطائفية على أنها بديل عن الهوية الوطنية الجامعة.

ثانيًا: مسارات الطائفية والتطرف

أخذت الطائفية والتطرف مسارات متنوعة ومتعددة نظرًا لتشابك الأدوار والتدخلات الدولية والإقليمية، وانتشار ثقافة العنف وبروز ظاهرة الجماعات المسلحة على أساس طائفي ومذهبي وعرقي. في ضوء ذلك بدأت مسارات الطائفية تأخذ أكثر من شكل واتجاه، كان أهمها الاتجاهات والمسارات التالية:

(8) الجمل، عائشة، محمد: **السياسة الخارجية الأمريكية والإصلاح التعليمي في المنطقة العربية (مصر كحالة دراسية 2001-2010)**، (المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، ألمانيا 2018)، ص 60.

مسار داخلي

اتخذ العنف والتطرف الناتج عن الصراع الدائر في كثير من المجتمعات العربية مسارات كثيرة، لكن كان المسار الداخلي أحد أهم هذه المسارات الذي ساهم في تفكك النسيج الاجتماعي لكثير من دول المنطقة وخاصة العراق، بعد سقوط نظام صدام حسين وبروز الطائفية السياسية بكونها محدد رئيس في بناء عراق ما بعد صدام.

كانت سلسلة ثورات الربيع العربي أقرب إلى انفجارات اجتماعية في البلدان التي حكمتها أنظمة استبدادية عسكرية النشأة، حظرت معظم الأنشطة السياسية والاجتماعية، واعتمدت خطابًا دعائيًا لتأبيد سلطة الزعيم الأوحد الذي امتزج وحزبه وحاشيته في هيكلية الدولة ووظفوها لحماية سلطتهم.

جاءت هذه الممارسات في عصرٍ تسارع فيه التطور الاقتصادي والاجتماعي، وغذته وسائل التواصل، واجتاحته العولمة، ما كشف عن اتساع الهوّة بين حرية التفكير التي فرضت نفسها على امتداد معظم أنحاء الكرة الأرضية، وواقع الاستنقاع الفكري المعيش في منطقتنا العربية، وما نجم عنه من تضاؤل الإبداع والتجديد، والتفكير الممسوخ المقتصر على فرض سياسة اللون الواحد بما يتناسب واحتياجات الهيمنة على مقدرات البلاد والعباد[9].

فقد انتشرت في المنطقة ظاهرة فرق الموت و«المرتزقة» ومشاهد القتل على الخلفية المذهبية والدينية، وأصبح العراق وغيره من الدول ساحة للصراع الطائفي بين الشيعة السنة من جانب، والعرب والأكراد من جانب آخر. فقد طالت التفجيرات الكنائس والمساجد[10]. وتدلّ هذه التفجيرات على حدوث تغير نوعي في شكل الأهداف التي يختارها من يلعبون على وتر الطائفية داخل العراق وخارجه، حيث تطوروا من استهداف الأشخاص إلى استهداف الرموز الدينية التي تتمتع بقداسة خاصة، مثل ضريح علي الهادي والحسن العسكري (رضي الله عنهما) المقدس لدى الشيعة والسنة في العراق لكونه يقع في مدينة سُنية (سامراء) ويزوره الشيعة من كل أنحاء العراق[11].

بشكل عام، لقد ارتبط حجم التداعيات المرافقة لهذه الظاهرة، ولاحقًا حجم الخراب الناجم عنها، بدرجة القمع وكبت الحريات السياسية السائدة في بلدان الربيع العربي، علاوة على الظلم والعوز المرافق لكل استبداد، ومنه سوء توزيع الثروة الوطنية والسطو عليها، من قبل قلّة في رأس الهرم السلطوي. كما أنّ وجود تباينات اجتماعية ودينية وقومية، في ظلّ غياب ثقافة المواطنة، مكّن بعض القوى الداخلية والخارجية من اللعب على هذه التباينات، واستثمارها في محاولةٍ لإذكاء نار الصراع الأهلي، بعيدًا من المسار التاريخي المفروض للتحرّر من الاستبداد وبناء الدولة الديمقراطية – العلمانية التي تحمي مواطنيها وتساوي بينهم تحت سلطة القانون، ما يساعد في قيامهم بواجباتهم

(9) **التداعيات الداخلية لثورات الربيع العربي والبدائل المحتملة**، (وحدة السياسات، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، الدوحة 2019)، ص 1.

(10) الحامد، رائد: **المرتزقة في العراق (ميلشيات وفرق موت)**، (مجلة المستقبل العربي، العدد (338)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2007)، ص 108–109.

(11) يوسف، عبد الله، جمال: **أثر الاحتلال الأمريكي على العنف السياسي الطائفي في العراق (2003 – 2017)**، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين ألمانيا، 2019، دراسة نشرت على موقع المركز عبر الرابط التالي: https://democraticac.de/?p=61716

ونيل حقوقهم وتجلّي إمكاناتهم[12].

مسار الصراع الإقليمي

الصراع الطائفي الذي بدأ في العراق تحول إلى صراع إقليمي بين السعودية وإيران، واتجه نحو التحول إلى مواجهة عسكرية مفتوحة، حيث بلغ الاستثمار في الحرب بالوكالة بين الطرفين مراحل متقدمة في الساحات المختلفة، في سورية ولبنان واليمن والعراق، حيث يعمل الطرفان على تأجيج الصراعات الطائفية عبر شركائهم المختلفين، في حين تخلت الولايات المتحدة الأميركية عن دورها في الحدّ من هذا الصراع، واختارت بدلًا من ذلك السماح للجهات المتصارعة إلى إرهاق بعضها بعضًا[13]). بدأ التنافس السعودي الإيراني على النفوذ في منطقة الخليج منذ الثورة الإسلامية في طهران عام 1979، واستمر مع الحرب العراقية الإيرانية (1980–1988) عندما قدمت السعودية دعمًا سياسيًا وعسكريًا واقتصاديًا للعراق في مواجهة إيران، ويغلف صراع النفوذ بين البلدين طابع مذهبي، إذ تعمل كل دولة من الدولتين على دعم طائفة معينة في العراق، فالسعودية تريد إقامة دولة سنية محافظة في العراق، كما تعمل إيران على بقاء هيمنة الشيعة على النظام السياسي بعد الانسحاب الأميركي منه[14].

ويتحرك المعسكران السني والشيعي في اتجاهين متعاكسين، من جهة يحشد معسكر شيعي أصغر حجمًا لكنه أكثر تماسكا واتحادًا، وهو ما يصوره قادته على أنه إعادة توازن تاريخية متأخرة للقوى الطائفية في الشرق الأوسط، بينما يحد القتال الداخلي وتضارب المصالح في المعسكر السني من فاعليته، ويمكن الجهات الشيعة أكثر فأكثر من السيطرة على مناطق نفوذه[15]. لقد سعت إيران إلى الوجود الفعلي من خلال شبكاتها العاملة في العراق على الحدود الشمالية للمملكة العربية السعودية مع العراق؛ وعملت على إيجاد مراكز سيطرة على حدودها الجنوبية مع اليمن لتشكيل طوق جغرافي من هاتين الجهتين الحدوديتين؛ إضافة إلى الحدود الشرقية للسعودية على شاطئ الخليج العربي قبالة السواحل الإيرانية في امتداداته إلى خليج عدن ومضيق باب المندب، بما يمثله هذا المضيق من تهديد للأمن القومي السعودي، ما دفع لتشكيل تحالف عربي في آذار/ مارس 2015 لمنع حركة أنصار الله (الحوثي) الذراع الإيراني في اليمن من السيطرة على مضيق باب المندب وعدن ومدن أخرى على الساحل الجنوبي لليمن[16].

---

(12) **التداعيات الداخلية لثورات الربيع العربي والبدائل المحتملة**، (وحدة السياسات، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، الدوحة 2019)، ص 2.

(13) مارتيني، جفري: وآخرون: **مستقبل العلاقات الطائفية في الشرق الأوسط**، (مؤسسة راند البحثية الأمريكية، واشنطن 2017)، ص 10.

(14) الحريري، جاسم، يونس: **التنافس الخليجي الإيراني في العراق بعد الانسحاب الأمريكي**، مرجع سابق، ص 63.

(15) ((مارتيني، جفري: وآخرون: **مستقبل العلاقات الطائفية في الشرق الأوسط**، (مؤسسة راند البحثية الأمريكية، واشنطن 2017)، ص 9.

(16) ((الحامد، رائد: **التنافس الأمريكي الإيراني في العراق. خلفياته ومستقبله**، (المعهد المصري للدراسات، أنقرة تركيا، 9102)، ص 21–31.

بروز حركات وجماعات متطرفة عابرة لحدود الدولة

كان من أبرز نتائج بروز الطائفية والتطرف في المشهد العربي ظهور الجماعات الإرهابية المتطرفة، وعبورها حدود الدولة الوطنية وسيطرتها على مساحات واسعة من الأرضي، هذا الأمر سمح لها بتطبيق فكرها المتطرف على السكان، وممارسة أعمال قتل وقمع وحشية. وجاء تنظيم داعش ردة فعل على بروز الطائفية والتطرف في المنطقة.

العنف الممارس باسم الطائفية والصراع الطائفي والمذهبي أدى إلى أن مجموعات من المجتمع قامت «باستكشاف معنى الماضي من جديد، وإقامة شعائر الأجداد، ومن هذه الفئة يخرج «المسفّلون» أي السفلة غير القابلين للتهذيب، الذين استعملوا الدين مذهبًا للانتقام من الاحتلال والدولة والمجتمع. ومن هنا أخذ تنظيم «قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين» الدين أيديولوجية لتبرير أعماله، وورّثها تنظيم «دولة العراق الإسلامية».[17]

(الدولة الإسلامية في العراق وسوريا) (ISIS)، المعروفة أيضا باسم (الدولة الاسلامية في العراق والشام) ISIL)، وهي مجموعة جهادية سنية تتبنى أيديولوجية عنيفة، حيث تطلق على نفسها اسم الخلافة، وتدعي السلطة الدينية على كل المسلمين. وانبثق تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) من تنظيم القاعدة في العراق الذي أسسه «أبو مصعب الزرقاوي» في العراق عام 2004، وتمكن التنظيم من السيطرة على الموصل، وتوسع تجاه الرقة في الأراضي السورية، وأظهر وحشية مفرطة في قتل الخصوم، أكانت عبر قطع الرؤوس أم تعليق الجثث، أم حرق الأحياء.

وجدد (حسن أبو هنية ومحمد أبو رمان) في كتابهما (تنظيم «الدولة الإسلامية»: الأزمة السنية والصراع على الجهادية العالمية) بأن التنظيم وعنفه نتاج البيئة العربية في واقعها الراهن؛ بسبب تسلط الأنظمة السياسية وفسادها، والمنظومة الفقهية الفكرية. وهو ما أدى إلى توترات اجتماعية وسياسية، تحولت إلى صراع هوياتي[18] فنتجت «أزمة سنية»، أعادت إحياء تنظيم «الدولة الإسلامية في العراق». هذا التطرف والعنف هو نتاج أزمة طائفية.

وساهم في تمدد التنظيم الأوضاع الأمنية والسياسية والاقتصادية في العراق، خاصة التهميش الذي عانت منه المناطق السنية، حيث مكنت التنظيم من التوسع والسيطرة على أجزاء واسعة من العراق وسورية[19]. بدايات ظهور تنظيم (داعش) ترافق مع الاحتلال الأميركي للعراق، فقد أسس زعيم خلية القاعدة في بلاد الرافدين «أبو مصعب الزرقاوي» التنظيم الذي حمل في البداية اسم «جماعة التوحيد والجهاد»، ثم تعاون مع عدد من المرتدين على حكم الأغلبية الشيعية، حيث تمدّد التنظيم في محافظات نينوى وصلاح الدين، والأنبار وديالي وشمال بابل وبغداد، وهي محافظات

(17) نيروز ساتيك: **تنظيم «الدولة الإسلامية» في العراق: الجلادون المُستعمَرون والساديون الأغراب**، (مجلة جدل، بغداد العراق 2020)، متاح http://bit.ly/3tfIxFQ

(18) حسن أبو هنية ومحمد أبو رمان، **تنظيم «الدولة الإسلامية»: الأزمة السنية والصراع على الجهادية العالمية** (عَمان: مؤسسة فريدرش إيبرت، 2015)، ص 15 – 16.

(19) حرفيش، شمس: **العراق في مواجهة الأفكار والمخططات الإرهابية وتحديات المستقبل بعد هزيمة داعش**، (مجلة تكريت للعلوم السياسية، العدد رقم (15)، جامعة تكريت، العراق 2018)، ص 146.

ذات أغلبية سنية وجدت نفسها بلا عمل نتيجة سياسات اجتثاث حزب البعث[20].

وقد نجحت القاعدة في توسيع نطاقها من خلال الشراكات مع منظمات أخرى أيضًا في جميع أنحاء الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وهو ما وصفه منسق وزارة الخارجية الأميركي لمكافحة الإرهاب، «ديل ديلي»، بأنه «حقوق الامتياز من القاعدة». وتشمل هذه المنظمات المنتسبة: (القاعدة في العراق، والقاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، وجماعة القتال الإسلامية الليبية).

وأعلنت أكثر من 40 منظمة إرهابية تشكلها بين كانون الثاني/ يناير 2005 ونيسان/ أبريل 2007، وتعهدت بالولاء للقاعدة وأسامة بن لادن[21]. ويشكل الإرهاب والتطرف تحديًا للأمن والاستقرار الإقليمي والدولي، فهو يعمل على إرباك التجمعات، بالرجوع إلى الفكر الإرهابي المتطرف الذي تعاني منه المجتمعات، ويأتي العراق في مقدمة الدول التي عانت من انتشار الجماعات الإرهابية المتطرفة، المتمثلة في تنظيم داعش الذي سطر على الموصل في بداية العام 2014، وما نتج عن ذلك من أعمال قتل ونهب وتخريب للممتلكات العامة والخاصة، وتهجير السكان والطوائف وهدم الآثار الأشورية، التي تمثل تاريخًا عظيمًا للعراق يمتد نحو 9 ألاف سنة[22].

شكل ظهور تنظيم داعش نقله نوعية في العنف الديني القائم على أساس مذهبي، فقد قام التنظيم بأعمال إجرامية بحق الأقليات الأخرى، ومسيحيي الشرق، حيث كانت أسوأ مذبحة للمسيحيين العراقيين على الإطلاق. في 31 تشرين الأول/ أكتوبر 2010، اقتحم إرهابيون من تنظيم «الدولة الإسلامية» في العراق كنيسة سيدة النجاة في بغداد، ما أسفر عن مقتل 58 شخصًا بينهم مصلون وقساوسة. وقبيل زيارة البابا فرانسيس للكنيسة تحدث مراسل CNN، بن ويدمان إلى بعض الناجين، الذين يقولون إن المجتمع المسيحي النابض بالحياة في المدينة بات يختفي بسرعة، ويهرب من هذا البلد.

تنظيم «الدولة الإسلامية في العراق» و«داعش» مجموعة من البنى الاجتماعية والأفراد نزعت إنسانيتهم بفعل الاستعمار والاستبداد وقسوة العولمة. خرجت قوى الشر من بواطنهم الإنسانية وسيلةً للثورة على هذا النظام العالمي، ومارسوا أبشع أنواع القتل والعنف. اتبعوا منهج الثأر بدلًا من مناهج أخرى متاحة، فالحلول العسكرية الخالصة تؤدي إلى توحش الفكر[23]. وكان يمثل تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين نمطًا شاذًا هرب من حقل مقاومة الاستعمار إلى حقل التكفير والقتل والتوحش. حيث استغلت لحظة الاحتجاج ضد الحكومة العراقية، وهيمنت بالقوة والعنف على

(20) كونبال، بن، لاندر، ناتاشا، وآخرون: **التغلب على تنظيم الدولة الإسلامية (اختيار استراتيجية جديدة في العراق وسورية)** (مؤسسة راند البحثية الأمريكية، كاليفورنيا الولايات المتحدة الأمريكية، 2017)، ص 8.

(21) Camden Courier-Post: 'Franchises' of al-Qaida Pose a Great Threat (The Washington Institute for Near East Policy, Washington 2008, is available at the following link: http://cutt.us.com/vLAfbhVm

(22) حرفيش، شمس: **العراق في مواجهة الأفكار والمخططات الإرهابية وتحديات المستقبل بعد هزيمة داعش،** (مجلة تكريت للعلوم السياسية، العدد رقم (15)، جامعة تكريت، العراق 2018)، ص 141.

(23) غبسون، نايجل سي، **فانون المخيلة بعد- الكولونيالية**، ترجمة: خالد عايد أبو هديب، مراجعة: فايز الصياغ (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013). ص 22

مساحات واسعة من العراق[24].

جاء تنظيم داعش والجماعات الإرهابية المسلحة انعكاسًا لانتشار الطائفية والاستبداد في المجتمعات العربية ما بعد الربيع العربي، كما شكل تمدّد تنظيم داعش وسيطرته على أجزاء كبيرة من الأراضي العراقية والسورية دليلًا على فشل أنظمة الحكم القائمة على الاستبداد والمحسوبية في خلق واقع سياسي واقتصادي واجتماعي مستقر.

ثالثًا: المآلات

في استشراف مستقبل الظاهرة أي ظاهرة الطائفية والتطرف لا بدّ من ربط أي قراءة موضوعية لمآلات هذه الظواهر بالوضع الدولي والإقليمي، والسياسات الأميركية ومدى قدرة المجتمعات العربية على بناء أنظمة سياسية قادرة على تعزيز قيم المواطنة والمشاركة السياسية والمجتمعية في صناعة القرار.

لا شك أن ما تشهده المجتمعات العربية من حاله تفكك داخلي، وانتشار لمظاهر التطرف والطائفية، واستمرار حالة الصراع الإقليمي، والتضارب في السياسات الأميركية تجاه منطقة الشرق الأوسط لا يبشر بقرب انحسار هذه الظواهر، وإن كان الوضع في الوقت الحالي أفضل بكثير من الأوضاع قبل سنوات، فعقب انطلاقة الربيع العربي مباشرة تصاعدت حدة العنف المبني على الطائفية والعامل الديني، إلا أن ذلك لا يعني قرب انتهاء الصراع، خاصة أن الوضع السياسي والاجتماعي يزداد تأزما في العراق وسورية ولبنان واليمين، كما أن الصراع بين إيران والسعودية ما زال يتصاعد في إطار ما بات يعرف بحرب المحاور.

المسار الذي انتهى بانتكاسة بعض التجارب، أو تعثُّرها، لم يكن بمنأى عن الدور المُعَطِّل الذي نهجته القوى الإقليمية والدولية بدعم الثورة المضادة سياسيًّا واقتصاديًّا ودبلوماسيًّا، والسكوت على الجرائم التي ارتكبتها سلطة الانقلاب ضد المعارضين والمواطنين المطالبين بالحرية والعدالة الاجتماعية والكرامة الإنسانية، والزَّج بهم في السجون، ومصادرة حقهم في حرية الرأي والتعبير، وهو ما سمح باغتيال الاعتدال، وبروز التنظيمات المسلحة والجماعات الجهادية المتطرفة.

وقد كشفت مسارات التغيير أن القوى الدولية الكبرى لا يعنيها دَمَقْرَطَة المجتمعات العربية، وإنما تحركُها مصالحها السياسية والاقتصادية والجيوستراتيجية؛ فتخلَّت عن مبادئها وقيمها وسمحت بتحوُّل المنطقة إلى ساحة مفتوحة (النموذج السوري) لمشاريع بعض القوى الإقليمية والدولية؛ حيث يتصارع المشروع الروسي والإيراني والإسرائيلي، ويبدو المجال العربي مكشوفًا أمام هذه المشاريع، لا يملك سوى ردود الأفعال[25].

الطائفية سمة بارزة في المشهد الشرق أوسطي. ابتداءً من الحروب الأهلية المستعرة في العراق وسوريا واليمن، إلى منطقة المنافسة بين إيران والمملكة العربية السعودية، إلى استراتيجيات الحكم في البلدان المختلطة دينيًا، الطائفية تشكل التطورات الإقليمية. الطائفية، التي يصعب قياسها أو

(24) نيروز ساتيك: تنظيم «الدولة الإسلامية» في العراق: الجلادون المُستعمَرون والساديون الأغراب، (مجلة جدل، بغداد العراق 2020)، متاح http: / /bit.ly / 3tfIxFQ

(25) خمسة أعوام على الربيع العربي: إنجازاته وإخفاقاته ومستقبله، (مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة 2016)، متاح http://bit.ly/2NGkdOe

فصلها عن العوامل الأخرى التي قد تتفاعل معها، الافتراض الأساس بشأن مستقبل الهوية في الشرق الأوسط هو ظهور لهويات مختلفة، وسيستمر التنوع مع الوقت وفقا للأوضاع. . ولا يمكن القول بكل تأكيد إن الشرق الأوسط في السنوات المقبلة سيكون أقل أو أكثر طائفية، أو بالمقابل أقل أو أكثر قومية، ما يمكن أن يُفترض بشكل آمن هو أن الشرق الأوسط سوف يستمر تحديده من حيث عدة عوامل، أهمها الدين، والعرق، والدولة القومية، والطبقة الاجتماعية والاقتصادية، والجنس[26].

خاتمة

لم يكن انتشار الطائفية والتطرف في كثير من المجتمعات العربية بعد الربيع العربي إلا انعكاسًا لفشل تجربة الدولة الوطنية في خلق تنمية مستدامة على المستويات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بما يحقق المواطنة الكاملة للجماهير العربية في أماكن وجودها كافة، لذلك صاحب انهيار هذه الدولة بروز الطائفية بعد أن تحصن المواطن العربي في هويته الفرعية على أنها بديل عن الهوية الكلية لتوفير الحماية الاجتماعية.

كما أن الطائفية والتطرف جاءت في سياق مشروع أميركي كان يهدف إلى إعادة ترتيب أوضاع المنطقة على أسس جديدة تقوم على أساس تفجير الصراعات المذهبية والطائفية العرقية والدينية لخلق واقع جوسياسي جديد يخدم المشروع الإمبريالي الأميركي والإسرائيلي ويجعل إسرائيل من المنطقة.

لذلك يمكنا القول إن الطائفية والتطرف كانت وليدة بيئة محلية غير صحية، وفرت التربة الخصبة لنموها وتصدرها المشهد، كما إن المشروع الأميركي ساهم في تعزيزها وتصدرها المشهد من خلال سياسات دولية، وفرت الأوضاع الداخلية لتصدر الفكر الطائفي المشهد، بعد أن أصبح العنف هو الوسيلة الوحيدة للحصول على الحدّ الأدنى من الحقوق.

(26) جيفري مارتيني، وهيذر ويليامز، ووليام يونغ، دراسة بعنوان: **مستقبل الطائفية في الشرق الأوسط، مؤسسة راند للدراسات والأبحاث**، واشنطن 2017)، ص 4.

المشاركون في هذا العدد

1. إنانا بركات
2. إيمان أنجيلة
3. أحمد الحاقي
4. أسامة هنيدي
5. إشراق المقطري
6. آلان خضركي
7. أنور جمعاوي
8. أيوب أبو ديّة
9. بهنان يامين
10. بهي الدين حسن
11. جمال الشوفي
12. جمال سعيد
13. جمال نصار
14. جنى ناصر
15. حازم نهار
16. خليل الحسين
17. راتب شعبو
18. ربا حبوش
19. ربى حنا
20. رمضان بن رمضان
21. ريمون المعلولي
22. سعاد خبية
23. سعاد عباس
24. سلمى عبد العزيز
25. سماح هدايا
26. سمير ساسي
27. شادي شحادة
28. شوكت غرز الدين
29. عبد الإله فرح
30. عبد الحسين شعبان
31. عماد العبار
32. عمر التاور
33. غدير ملكة
34. فاتن أبو فارس
35. فادي كحلوس
36. فاطمة لمحرحر
37. لمى قنوت
38. ليث شبيلات
39. مازن الرفاعي
40. منصور أبو كريم
41. منى الجراري
42. منير شحود
43. مهند البعلي
44. ميسون شقير
45. ناصر الدين باقي
46. نصار يحيى
47. نور حريري
48. هنادي زحلوط
49. هوازن خداج
50. ورد العيسى
51. ياسر خنجر
52. يوسف فخر الدين

السعر 15 دولارات

2757-8909

اليسلو
للثقافة والترجمة والنشر